التراثُ العلويُّ وأثرهُ في الشّعر العراقيّ(الشّبيبيّ أنموذجًا)

د. عمّار الزوينيّ الحسينيّ
جامعة طهران– كليّة الإلهيّات – قسم اللغة العربيّة

Alawite heritage and its impact on Iraqi poetry (Al-Shabibi as a model)

Dr. Ammar al-Zwaini al-Husayni
Tehran University - Theology College - Arabic Language
ammaralzwainy7@gmail.com

Abstract

The Alawite Heritage and its Impact on Iraqi Poetry (Al-Shabibi as a Model)

The study included the effect of the Alawite heritage values, and their lateral dimension, as well as they contained the interrelationships in the unity of the text and its dimensions in the context, and the extent of its influence on Iraqi poetry, and the union of the text and its dimensions in the Alawite heritage were able to reach the aesthetic values and their influential dimension due to the beauty of the text and style.

The study included the effect of the Alawite heritage from the linguistic and grammatical side on the multiple vocabulary of the strange language, the grammatical methods of Shabibi and Abi Al-Mahasin, as well as the effect of music, separation, and poetic weights inspired by the rhetoric approach, as well as included symbol, symbolism, hint and flags, and their use in psychological, cultural and intellectual dimensions, Which gave the two poets new connotations.

Also, the image included (the metaphor) in the Alawite heritage and its effect on Iraqi poetry, as well as the beauty of style, which stops you in every situation, but in every word that attracts you towards it, and makes you linked to the world of matter and meaning, and the world of the world and the hereafter because of its beautiful graphic values, as well as its level Voice).(

Among the results reached by the study are: attention to the role of the Alawite heritage and its symbolic, symbolic and musical implications, and the unity of the text that contained deep language structures, but the use of the reference or hint (symbol) in it is the most beautiful of the study, as well as the semantic methods of repetition and rhythm in Phrases unmatched.
Main vocabulary: Alawite heritage, Iraqi poetry, Shabibi.

Key words: Alawite heritage, Iraqi poetry, youth.

الملخّص

تضمّنتِ الدراسةُ أثرَ القيمِ التراثيّةِ العلويّةِ، وبعدها الزمكاني، كذلكَ احتوتْ على العلاقاتِ المتداخلةِ في وحدةِ النصّ وأبعادِها في السّياقِ، ومدى تأثّرها في الشّعرِ العراقيّ، وباتّحادِ النصّ وأبعادِه في التراثِ العلويّ تمكنّا منَ الوصولِ إلى القيمِ الجماليّةِ وبعدِها التأثيريّ بسببِ جمالِ النصّ، والأسلوبِ، وقدْ تضمّنتْ أثرَ التراثِ العلويّ منَ الناحيةِ اللغويّةِ والنحويّةِ في تعدّدِ مفرداتِ اللغةِ الغريبةِ، والأساليبِ النحويّةِ لدى الشّبيبيّ، وكذلكَ أثرَ الموسيقى، والفاصلةِ، والأوزانِ الشعريّةِ المستوحاةِ منْ نهجِ البلاغةِ، وكذلكَ تضمّنتِ الرمزَ والرمزيّةَ والتلميحَ والأعلامَ، وتوظيفها في الأبعادِ النفسيّةِ والثقافيّةِ والفكريّةِ، والّتي منحها الشّاعرُ دلالاتٍ جديدةً.

وكذلكَ تضمّنتِ الصورةُ (المجاز) في التراثِ العلويّ وأثرهُ في الشّعر العراقيّ، وأيضًا جمالَ الأسلوبِ، الذي يستوقفكَ في كلّ موقفٍ، بلْ في كلّ لفظةٍ يجذبكَ نحوهُ، ويجعلكَ مرتبطًا بعالمِ المادّةِ والمعنى، وبعالمِ الدنيا والآخرةِ لما تمتلكُ منَ القيمِ التصويريّةِ الجميلةِ، وكذلكَ بمستواها(الصّوتي)، ومنَ النتائجِ الّتي توصّلتِ إليها الدراسةُ هي: الاهتمامُ بدورِ التراثِ العلويّ

ودلالاتهِ الصوريّةِ والرمزيّةِ والموسيقيّةِ، ووحدةِ النصّ الذي احتوى على التراكيبِ اللغويّةِ العميقةِ، بلْ إنّ استعمالَ الإشارةِ أو التلميحِ (الرمز) فيها هو أجملُ ما توصّلتِ إليه الدراسةُ.

كلماتٌ مفتاحيّةٌ: التراثُ العلويّ، الشّعرُ العراقيّ، الشّبيبيّ.

المقدّمة

لا شكّ من أنّ أدب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) قد بهر العرب والعجم بأسلوبه الفنيّ المعجز، وقيمته الفكريّة والأدبيّة السّامية، فأكبّ الأدباءُ والبلغاء على مدارسته، والعناية به؛ كونه تراثاً ثرّاً، وفكراً رائداً لا يضاهيه فكر ولا أدب على الإطلاق، وقد أضحت الثقافة الأدبيّة، وعلى توالي العصور تعتمد تراث أمير المؤمنين(عليه السلام)، وبالخصوص نهج البلاغة الذي صار مصدراً تدور حوله الأبحاث الأدبيّة واللغويّة والفكريّة...

حاولنا أن نتناول المراحل التي مرّ بها الأدب العربي المعاصر من كلاسيكيّة ورومانسيّة وواقعيّة، كذلك نتناول المذاهب الأدبيّة المتنوّعة، فلكلّ منها أسلوبه في التعامل مع التراث العلوي، وأيضاً نتناول إقليماً واحداً وهو العراق العظيم؛ لنتعرّف على أثر نهج البلاغة في شعرائه خلال العصر الحديث، وتطرّقت الدراسة إلى دراسة المرحلة الإحيائيّة من الشعر العراقي المعاصر لشدّة ارتباطها بالتراث العلوي، واخترنا عميدا من أعمدة الشعراء العراقيين(الشبيبي)، فهو من أصحاب الإحيائيّة الجديدة، ودراسة هذا الشاعر تكفي لإعطاء تصوّر واضح عن هذا الاتجاه الأدبي، وعن الأسلوب الذي أفاد به نهج البلاغة في شكله ومضمونه.

إنّ منهج البحث ينقسم إلى مبحثين: المبحث الأوّل يقف عند الظروف العامّة التي جعلت الروح الدينيّة تلتهب وتتعمّق في نفوس الناس إبّان عصر النهضة، كذلك الحديث عن المعاني والموضوعات الخاصّة بالتراث العلوي التي وجدت هوى لدى الشعراء العراقيين فنقلوها إلى تجاربهم الشعريّة، وأمّا المبحث الثاني، فقد تناول أثر اللغة والصورة والرمز والاعلام التراثيّة العلويّة في الشعر الإحيائي، وكشفت عن مدى الثراء والغنى الذي أفاده الشعراء من صلتهم بنهج البلاغة(التراث العلوي).

إنّ المنهج المتّبع في هذه الدراسة هو المنهج التحليلي الذي يزاوج بين الفكر والفن، ويربط بين النصّ وظروفه النفسيّة والاجتماعيّة والسياسيّة، وذلك أنّ الظاهرة معقّدة لا تستطيع الدراسة أن تنظر لها من زاوية واحدة أن تفسّرها تفسيراً حقيقيّاً، ولا ندّعي أنّنا بلغنا الكمال في هذا البحث، ومن الله سبحانه نستمدّ التوفيق.

العقيدة والنهضة

إنّ الأمّة التي تروم أن تنهض من كبوتها وضياعها وهلاكها وتخلّفها لا بدّ لها العودة إلى أصالتها وتراثها، وعهود نقائها وفطرتها، وتجدّ الجدّ للحصول على العوامل التي دفعتها للحضارة الأولى، وحاول بعضهم جعل النهضة الحديثة نتاج الحملة الفرنسيّة، وكذلك نتيجة الاتصال بالحضارة الأوربيّة[1627]، ونحن نعتقد أنّ بذور النهضة لا بدّ لها أن يُبحث عنها في تربتها، وفي دوافعها الذاتيّة، وأمّا العوامل الخارجة عن تربة الوطن، فهي عوامل مساعدة فقط، لذا انطلق الشعراء منطلقاً حضارياً عقائديّاً، وقاموا بتأسيس المدرسة الإصلاحيّة.

التراث والنهضة

لا شكّ أنّ للنهضة أبعاداً سياسيّاً، ولكن نجد صدى النهضة في العودة إلى التراث الإسلامي، وهذا أمر طبيعي، فقد رأينا النهضة الأوربيّة بعودتهم إلى التراث اليوناني القديم، والأمّة الإسلاميّة لها عوامل كثيرة ساعدت في العودة إلى التراث، منها نفحات رجال الإصلاح، وكذلك الخلاف بين الإسلاميين والتيار الداعي للتأثّر بالحضارة الغربيّة، وهذا زاد الحماسة إلى التراث

[1627]()- الدسوقي، في الأدب الحديث:17/1.

القديم، وكلّ ما يذكّر بالأمجاد الماضية عقيدة وتأريخاً وأدباً[1628]، لذلك تنافست الأمّة الإسلاميّة في اقتناء المخطوطات، وكذلك تكوين المكتبات للعودة إلى التراث والأصالة لاعتقادهم أنّ التاريخ هو دليل عزّهم ورفعتهم، و« التاريخ مرآة الغابر، ومرقاة الحاضر، فهو دليل وجود الأمم وديوان عزّها، ومبعث شعورها، وفي سبيل اتحادها، وسلّم رقيّها»[1629]، وهذا يعكس روح الحركة الإصلاحيّة، وربطها بنهضة الأمّة.

إنّ العودة إلى التراث تشقّ طريقها في التعليم تسير نحو تحقيق الأهداف، والتعليم لدى رجالات النهضة والحركة الإصلاحية يستمدّ مقوماته من المفاهيم الإسلاميّة، ولا ريب أنّ الدعوة للتعليم قد عانت من مشاق التعليم في إرشاد الأمّة إلى تراثها وحضارتها، فالمؤسّسات الدينيّة والثقافيّة لم تألو جهدا في الحفاظ على اللغة العربيّة وتدريسها بعدما أُريد لهذه اللغة الاندثار أبّان الاحتلال، وقد عمدت مؤسّسات النجف الدينيّة والثقافيّة إلى حلقات التعليم في المساجد والمنتديات بتدريس العربيّة وفنونها ممّا جعل الأجواء مشبعة بروح الأدب وفنونه، وهذا« جعل من النجف بيئة تتنفّس في هذا الجو وتستروحه منذ زمن طويل»[1630]، وكذلك المنابر الحسينيّة كان لها الدور الكبير في نشر الوعي الثقافي والتراثي.

الشاعر في سطور

ولد الشيخ محمد رضا بن الشيخ جواد بن محمد بن شبيب بن إبراهيم بن صقر البطايحي، الشهير بالشبيبي في النجف الأشرف، في شهر رمضان عام 1306هـ المصادف 6 أيار عام 1889م، وعمل وزيرا للمعارف لأكثر من مرّة، وعضواً لمجلس النواب ورئيسه في إحدى دوراته، وعضواً لمجلس الأعيان ورئيسه، وعضواً للمجمع العلمي العراقي ورئيسه أيضا، وله مؤلفات عديدة، منها: ديوان شعر (ديوان الشبيبي)، ومؤرّخ العراق ابن الفوطي، وغيرها[1631].

أثر التراث العلوي في شعر الشبيبي

لقد أخذ التراث العلوي يشقّ طريقه إلى شعر الشعراء العراقيين؛ لأنّهم تربّوا على روح الأدب العربي، ودرجوا على منهاجه، فثمّة مضامين واتجاهات فكريّة تراثيّة مرتبطة بالشعر ارتباطاً وثيقاً، فالتراث العلوي ولاسيما نهج البلاغة رافدٌ أصيل من الروافد التي ألهمت الشعراء، وأغنت تجاربهم، وكذلك فتحت لهم الأبعاد الخصبة من الرؤيّة الكليّة للحياة والوجود، فلا يمكن عزل التراث الأدبي عن الحياة والفكر كما قال منظرو الدراسات الأدبيّة:« إنّ عزل الأدب عن التأثيرات الاجتماعيّة والفكريّة المباشرة أمر غير ممكن»[1632]، وهذا أحد الأسباب التي أدّت إلى موت المذاهب والتيارات الأدبيّة التي لم تعتنِ ولم تكترث بالمعنى الشعري، وصبّت جلّ اهتمامها على لغة وموسيقى الشعر مثل المذهب أو التيار الدادي على سبيل المثال، والتيار الداديّ حركة أو تيار فنّي نشأ في سويسرا عام 1916م بسبب ويلات ونتائج الحرب العالميّة الأولى [1633].

لو أنعمنا النظر في الموضوعات التي استهدى بها الشعراء التراث العلوي لوجدنا الكثير من المعاني والمضامين العظيمة المستوحاة من الفكر والحياة والبصيرة والأبعاد الروحيّة والثقافيّة وغير ذلك، والموضوعات التراثيّة ذات الارتباط بالشعر العراقي كثيرة ومتشعبة، ولكن يمكن ذكر بعضها: (الأخلاق والجهاد)

1-الأخلاق

لعلّ أكثر ما ورد في التراث العلوي هو ذكر الأخلاق، وهذا سبب في جعل الشعراء يعتنون فيه عناية كبيرة، فالأخلاق رصيد الأمم، وثمرة العقلاء، فإن ذهبت الأخلاق ضاعت الأمم، فهذا أمير المؤمنين(عليه السلام) يتحدّث عن سوء الأخلاق، حيث

[1628]()- الجندي، خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث:141.
[1629]()- الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث:11.
[1630]()- الطاهر، ديوان الجواهري:27/1.
[1631]()- مير بصري، مصدر سابق:152.
[1632]()- أوستن وارين، وريشه بليك، نظريّة الأدب:19.
[1633]()- الحاني ، من اصطلاحات الأدب الغربي:43.

يقول:« **سوء الخلق يوحش النفس ويرفع الأُنس**» و« **سوء الخلق شؤم والإساءة إلى المحسن لؤم** » و« **سوء الخلق يوحش القريب وينفّر البعيد** » و« **كلّ داء يداوى إلاّ سوء الخلق** » و« **سوء الخلق نكد العيش وعذاب النفس**» و« **مَن ساء خلقه عذّب نفسه**»[1634]، كذلك أنّ عنوان الأمم الأخلاق، فقد ذكر أمير المؤمنين(عليه السلام) حُسن الخلق:« **عنوان صحيفة المؤمن حُسن خلقه**»[1635].

إنّ الأخلاق تكتسب عند البشر بفعل نوع الثقافة التي ينهلها المرء إن كانت سلبا أو إيجابا، وتتوارد الأخلاق عند الشاعر الشبيبي حين يرثي أو يعظ، أو يعلّم الحكمة، أو التأنيب، فالشاعر الشبيبي يعتبر هلاك الأمّة وضياعها في ترك الأخلاق، وللشبيبي في شعره ميزة خاصة بين باقي شعراء العربيّة من أنداده ومعاصريه تتركز في أسلوبه المشرق الرصين، أسلوبه الذي يذكّر بشعر العصر العباسي الزاهر كما وصفه بذلك "أنطون الجميَّل" في مجلته الزهور يوم كانت تصدر في مصر في تلك الأيام وسنجد مصداق هذا الوصف في سائر شعر الشبيبي، حيث يقول في **الأخلاق:**

وإذا أرادَ اللّـــهُ رقـدةَ أمـــــةٍ –حتّى تَضيعَ– أضَاعها أخلاقَها
مَلَكَ الضـــلالُ زِمامِها فإذا حَبَتْ أوْ أمسَكَتْ سَببَ المعالِي عاقَها
رأتْ العـدالةَ لا تـَروقُ لعـَينِها فَتلمّسَتْ فـي الليلِ "ظُلماً" راقَها
عَجِلَتْ على البَلوى فساقَتْ نفسَها للمَوتِ.. أو عَجِلَ البلاءُ فساقَها[1636]

فالأمّة التي يُراد لها الضياع والدمار أُبعدت عنها الأخلاق، وخيّم عليها الضلال، فلا يمكن لها أن ترتقي، كما أنّها تبتعد عن العدالة، فهي تحتّم على نفسها الموت والهلاك، وبذلك تكون أمّة ضائعة بعيدة عن النجاح والظفر. وهنا تأثّر الشبيبي بقول أمير المؤمين(عليه السلام):« **سوء الخلق نكد العيش وعذاب النفس**»، وأيضا نراه قد أخذ قول الإمام علي(عليه السلام) حينما قال:« **مَن نصّب نفسه للناس إماماً، فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالإجلال من معلّم النّاس ومؤدّبهم**»[1637]، فإذا كان الأصل معوجّا استحال أن يكون الفرع مستقيما، كما قيل في الأمثال العربيّة : « وهل يستقيم الظلّ والعود أعوج»، فالذي ينصّب نفسه للناس إماما مصلحاً هادياً مهديّاً، ولم يكن قد علّم نفسه ما انتصب ليعلمه الناس، كان مثل من نصّب نفسه ليعلّم الناس الصياغة، والنجارة، وهو لا يُحسن أن يصوغ خاتما، ولا ينجر لوحا، وهذا عين السفاهة، لذى ينبغي أن يكون تأديبه لهم بفعله وسيرته قبل تأديبه لهم بلسانه، وذلك لأنّ الفعل أدلّ على حال الإنسان من القول، فمَن يعلّم نفسه محاسن الأخلاق أعظم قدرا ممّن تعاطى تعليم الناس ذلك وهو غير عامل بشيء منه، فهذا الشبيبي يتأثّر في الأخلاقيّات، فهو الشاعر الجريء الذي لا تخدع الظواهر ناظره، فقصيدته" فتنة الناس" القصيدة اليتيمة التي لم ينظّم مثلها في الشعر الاجتماعي والأخلاقي، إذ تمثّل فيها العمق، واليسر في النظم، وقلّما أجاد شاعر في قصيدة اجتماعيّة أخلاقيّة مثل هذه الجودة، إذ يقول.

فِتنــةُ النّاسِ – وُقِينا الفِتَنا– باطلُ الحَمدِ، ومَكذوبُ الثّنا
رُبَّ جـــهمٍ حـوّلاهُ قَمَـراً وقَبيـــــحٍ صـيّراهُ حَسنَا
أَيُّها المُصلِحُ منْ أخْلاقِنا أَيُّها المُصـلحُ الداءُ هُـنَا
كُلُنا يطلبُ مـَا ليسَ لــهُ كُـلُنا يطلبُ ذا، حـــتّى أنَا
إنّنـَا نَجني علـــى أنفُـسِنا حينَ نَجني، ثمَّ ندعو مَنْ جَنَى[1638]

[1634]()- السبزواري، جامع الأخبار: 290 ح788; النوري، مستدرك الوسائل: 76/12 ح13556.
[1635]()- القمّي، سفينة البحار:410.
[1636]()- الشبيبي، ديوان الشبيبي:4.
[1637]()- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة:220/18.
[1638]()- الشبيبي، مصدر سابق:105.

وممّا يدلّ على سماحة الشبيبي في تفكيره، وعدم التشبث بما يراه هو صوابا، قوله:

حُجبتْ طلعةُ الحقيقةِ عنّي ليتَها تُستَشفُّ خَـلفَ الحِجابِ
أسفرِي يا مليحةَ الدَّلِّ إنّي صِـــرتُ أزدادُ فـــتنةً بالنِّقابِ
لستُ أغترُّ بالصوابِ أراهُ خطأُ المخطئينَ أصلُ الصّوابِ[1639]

فهنا صيّر الأخلاق عين الصواب، والتي أرسلها أمثالا، وسردها عبر وعظات، وتعبيرا عن خلجات نفس، فهو يرمي إلى تقويم الضمير قبل تقويم اللسان، أيّ يبدأ المرء بتأديب نفسه قبل غيره.

الجهاد:

إنّ الحديث عن الجهاد في التراث العلوي(نهج البلاغة) حديث يستقطب الأحرار، وكذلك الحديث عن الشاعر(الشبيبي)، وكيف استلهم روح الجهاد من التراث العلوي وخاطب به العراقيين، فقد كان لصوته صدى كبير في المجتمع، لصلته بالمصلحين من جهة، ولشدّة صلته بالتراث العلوي من جهة أخرى، وبسبب الهجمة الاستداريّة[1640] للعالم الإسلامي تأجّجت روح الحماسة له مستنفرًا الجمهور العراقي والعربي والإسلامي إلى الجهاد، وقد أشار الإمام علي(عليه السلام) للجهاد في نهج البلاغة، ويعطيه مكانة خاصّة، ويرفعه إلى أعلى مستوى من الأهميّة والتّقدير، ويمنحه أعظم الصّفات، حيث يقول(عليه السلام): «**الْجِهَادُ عِزُّ الإِسْلام**»[1641]، و« **فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى، وَدِرْعُ اللهِ الْحَصِينَةُ، وَجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ، أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ الذُّلِّ، وَشَمِلَهُ الْبَلاَءُ، وَدُيِّثَ بِالصِّغَارِ وَالْقَمَاءَةِ وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالأَسْدَادِ، وَأُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ، وَسِيمَ الْخَسْفَ، وَمُنِعَ النَّصَفَ** »[1642].

« **الله الله، فِي الْجِهَادِ بِأَمْوالِكُمْ وَأَنفُسِكُم وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ الله**»[1643].

« **وَجَاهِدْ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَلاَ تَأْخُذْكَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ**»[1644].

لجأ الشاعر(الشبيبي) إلى إيضاح مفاهيم الإسلام ليعطياه بُعده الصحيح، فالدعوة الفكريّة سبقت استعمال القوّة، وهذه القوّة لم تستخدم إلاّ لتأديب الجاهل والمعتدي، ومَن نصب العداوة للأمّة الإسلاميّة، والأمّة التي ليس لها قوّة تحميها وتذبّ عنها، فستكون عُرضة للزوال والعوادي والدمار، لذلك نرى أمير المؤمنين(عليه السلام) يدعو الأمّة إلى القوّة الماديّة والمعنويّة، لأنّ ضعف الأمّة يُغري الأعداء بالتعدّي عليهم، ويتناول الشاعر الشبيبي بعض هذه المعاني والمفاهيم في قصيدته(في سبيل الشرق)، ويقول:

ما عُذرُ طائفةٍ أضاعتْ مِصـرَها أنْ لا تُضيعِ شَآمها وعِراقـها
بَرزَت وقابَلها الزّمــانُ بســـيفـهِ فأطنَّ سَاعِدها وعَرقبَ ساقَها
أينَ الّذين إذا اكـــفهرّت أوجـــهٌ هبّوا لنا طُلقا الوجوهِ عِـتاقها
للهِ أطمـــاعٌ أصـــابتْ خُلفَـهـا فيهـمْ , وآمالٌ رأتْ إخفـاقَها
نَظرتْ إلى الحُلمِ الجميلِ فهاجَها ورَنَت إلى الطّيفِ المُلِمّ فشاقَها
أوَ مَا تَشـوقُك يا خـــيالُ بقيّةٌ في أنُفسٍ لكَ كابدتْ أشواقَها؟[1645]

[1639]()- الشبيبي، مصدر سابق:115.
[1640]()- الاستعمار من العمران، قال تعالى:﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾، والاستدمار هو الدمار.
[1641]()- عبده، شرح نهج البلاغة:(قصار الحكم رقم: 252).
[1642]()- عبده، مصدر سابق:(الخطبة رقم: 27).
[1643]()- عبده، مصدر سابق:(الكتاب رقم: 47).
[1644]()- عبده، مصدر سابق: (الكتاب رقم: 31).
[1645]()- الشبيبي، مصدر سابق:3.

يشير الشاعر إلى الأمّة التي تضيّع بلادها وأوطانها، وذلك حينما تبتعد عن الجهاد، وتكون ضعيفة، فتبتلى بالاحتلال، وتصاب بالذل والخيبة كما قال أمير المؤمنين(عليه السلام):« **فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ، أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ الذُّلِّ، وَشَمِلَهُ الْبَلاَءُ، وَدُيِّثَ بِالصِّغَارِ وَالْقَمَاءَةِ**»، أي ذُلّل بالصغار والإهانة،« **وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالأَسْدَادِ**»، أي بالثرثرة،« **وَأُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ، وَسِيمَ الْخَسْفَ، وَمُنِعَ النَّصَفَ**»، أي كلّف بالمشقّة ومُنع العدل.

وأيضاً نرى الشاعر الشبيبي ينادي بعزّ الأمّة الإسلاميّة، والذي أشار إليه أمير المؤمنين(عليه السلام) بقوله:« **الْجِهَادُ عِزُّ الإِسْلام**»، حيث يقول الشبيبي:

اِملـــكوا الصبرَ أن يطيرَ شَعاعاً غمــراتٌ وينجلينَ سِراعا
مــا أسغتم هضمَ العراقِ ولــكن هجتم للعراق أُسْداً جياعا
أنــا ذا لا أقـــولُ أكــثرَ مـــمّن قال هذا بناءُ مجدٍ تداعى[1646]

التراث العلويّ والشّعر

لقد حظي الأدب العربي بهذا التراث، فالشعراء والكتّاب والبلغاء والخطباء امتاحوا من بلاغة أمير المؤمنين(عليه السلام)، وصدّروا لغتهم وأساليبهم وفنونهم بعدما اغترفوا من كلام علي(عليه السلام)، ونحن هنا نبحث عن الأثر الفنّي للتراث العلوي في الأدب العربي، وتكون البداية عن الأثر اللغوي، كونه المادّة الأساس التي يُشكّل الشاعر منها فنّه، ويُظهر إبداعه، لذلك قيل:« الأدب هو تعبير عن الحياة أداته اللغة»[1647].

إنّ للشاعر أسلوباً في التعامل مع اللغة يختلف عن الناثر، فهو« لا يبحث عن اللغة الدّالة على ما يرغب أن يقوله، ولكنه يجب كذلك أن يذهب أبعد من ذلك إلى الإيحاءات الفنيّة خلال ذبذبات النفس»[1648]، فهو لا يتعامل مع اللغة كونها أداة تبليغ، بل أداة تبليغ وتأثير في وقت واحد، واللغة تحيا وتنمو من خلال استعمال الأدباء لها[1649]، فالأدباء والشعراء يضيفون لها مفردات جديدة؛ واللغة التي ليس لها شعراء وأدباء لا ريب أنّها لغة جامدة مصيرها الانقراض.

وعوداً على بدأ، تنماز اللغة العربيّة بأنّها تمدّ الشّاعر بما لديها من تراكيب وصيغ جاهزة[1650]، وكذلك طريقة خاصّة في الأسلوب، وهذا الفضل يعود إلى مؤسّس النحو، وأمير البيان، وهو أمير المؤمنين(عليه السلام)، وكذلك إلى الأدباء والشّعراء الذين أبدعوا في لغتهم، لذا نحاول أن نقف عند طبيعة لغة التراث العلوي وخصائصه، لنعرف ما أفاده الشّاعر(الشّبيبي) منها، وما وظّفه في آثاره الشّعريّة.

اللغة والموسيقى اللفظيّة في التراث العلويّ

اختلفت آراء البلاغيين في وجه الاعجاز في بلاغة أمير المؤمنين(عليه السلام) في الأسلوب والنظم، والعلاقات اللغويّة الفريدة، فلغة التراث العلويّ تجذب المتلقّي في جمال جرسها، ووقعها في السّمع، وانسيابها إلى الوجدان من خلال الظلّ الذي يوحي به اللفظ، فيرسم معناه في المخيلة، فجسم وشكل مفردات نهج البلاغة تقرّبك من الدلالة المرادة...«فاعلم أنّ الألفاظ تجري من السمع مجرى الأشخاص من البصر، فالألفاظ الجزلة تتخيّل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار، والألفاظ الرقيقة تتخيّل كأشخاص ذوي دماثة ولين وأخلاق ولطافة مزاج»[1651]، فلو نظرنا إلى قوله(عليه السلام):« **إنَّ الإيمانَ يَبْدو لُمْظَةً**

[1646]()- الشبيبي، مصدر سابق:24.
[1647]()- إسماعيل، الأدب وفنونه:30.
[1648]()- إسماعيل، مصدر سابق:32.
[1649]()- أوستن وارين، وريشه يليك، نظريّة الأدب:224.
[1650]()- عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي:78.
[1651]()- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:252.

في القَلْبِ، كُلّمَا ازدادَ الإيمانُ، ازدادتْ اللُّمْظَةُ»[1652]، واللمظة تعني النقطة أو النكتة، ومعناه: أنّ الإيمان يبدأ بنقطة في القلب تكبر كلّما ازداد الإيمان، فهو لمعة بيضاء، وإذا تأمّلنا هذه اللفظة(اللمظة) وجدنا حروفها قد صيغت بتناسق يجسّد معناها، فاللّام المشدّدة وارتباطها مع الميم مع اقتراب الظاء الثقيلة ساهمت في رسم صورة النكتة الملتصقة على القلب، لأنّ الزيادة حاصلة في (الإيمان) الذي مثّله الإمام كالنكتة في القلب، كذلك أنّ إدراك معنى هذه اللفظة في قول الإمام(عليه السلام) ليس بالأمر السّهل، وذلك بسبب دلالة هذه اللفظة(اللّمظة) على معانٍ كُثُر، فإنّها تدلُّ في الأصل على القلّة أو الأمر اليسير، واللمظة أيضاً: بياضٌ يسير في يد الفرس، أو رجله، واللّمظة أيضاً: النقطة، أو النكتة في القلب، وهذا المعنى هو الذي استعمله الإمام في كلامه، واللّمظة هنا من الأضداد، فهي النقطة البيضاء، وهي النقطة السوداء، في آن واحد، يوضِّح معناه السياق، والمفردات التي يختارها أمير المؤمنين(عليه السلام)في نهج بلاغته مصوّرة ناطقة بمعناها، موحية به، فدقّة لغة التراث العلوي المختارة والمنتقاة من أمير المؤمنين(عليه السلام) تؤثّر في النفس الإنسانيّة، بل تستميلها إلى الاستجابة، فلو تتبعنا مفردات نهج البلاغة مع اختلاف المواقف من الرسائل، والخطب، وقصار الحكم لوجدناها مفردات اختيرت إلى معانيها بدّقة عالية، فليست لغة ألفاظ نهج البلاغة جزلة مطلقة، وليست رقيقة مطلقا، ولكنها لغة تتساوق مع الموقف، وحال المخاطب، لذلك نرى النفوس تتملّى لغة أمير المؤمنين(عليه السلام) في حالة قوّة جرسها ولينه، فتهتزّ، وتنبهر وتندهش، فالتراث العلوي استطاع أن يستثمر كلّ الطاقات الكامنة في اللغة العربيّة، وقام بإنشاء علاقات جديدة بين صيغها، فازدانت وتبرعمت على نهج بلاغته، وأضحت خلقاً متكاملاً، وقد نسج على منواله الأدباء والشّعراء.

وأمّا الموسيقى اللفظيّة، فالتراث العلوي(نهج البلاغة) هو نثر فنّي معجز في رسم كلماته على هيأة توحي بدلالته، وتنغيم يسهم في إبراز معناه، وسجعه يغني عن القوافي الشعريّة.

الفواصل

إنّ أثر الإيقاع الموسيقي الذي يُحيط بمفردة نهج البلاغة عبارة عن جذب وعناق بين الألفاظ ودلالاتها المعنوية، فهما يعيشان اللحظة الشعرية المنبثقة عن الجذب والعناق، وفق إطار لغويّ إيقاعي منسجم، وهذا الأمر يؤدّي إلى الانصهار بين اللفظة والإيقاع في سياق مضبوط النظم، متلاحم النسج، مكوّنة أشبه ما تكون بالقصيدة من حيث الفواصل المقفّاة وهذا ما يطلق عليه الإيقاع الخارجي، الذي يقوم على أساس التوازن بين الجمل والعبارات[1653]، وخصائص الإيقاع تأتي من التناغم الذي تحدثه المفردات فيما بينها من خلال التوافق النغمي بين الحروف، وأيضا عمل المفردات انفعالا ذاتيّا يحمل طاقة توصيلية إلى المتلقي، وهذا واضح في قوله(عليه السلام):(... **ما لي أراكم أشباحاً بلا أرواح، وأرواحاً بلا أشباح، ونسّاكاً بلا صلاح، وتجاراً بلا أرباح، وأيقاظاً نُوَّماً، وشهوداً غُيَّباً، وناظرة عمياء، وسامعة صمّاء، وناطقة بكماء!...**)[1654]، فهنا برز التشاكل الصوتي بين الحروف والكلمات في أنساق تحمل تموجات صوتية تترجم الحالة النفسية في تعاقب منسجم مع العواطف والمشاعر التي يريد الإمام نقلها إلى المتلقي، فالمقطع (...أشباحاً بلا أرواح، وأرواحاً بلا أشباح، ونساكاً بلا صلاح، وتجاراً بلا أرباح...) يمثل تلك الحسرة على ضياع هؤلاء أو تضييعهم أنفسهم في ما لا ينفعهم، وأنهم غائبون عن اللحظة الوجودية، التي هي فرصتهم من وجهة نظر الخطيب في أن يكونوا سعداء، ثم يردف بمقطع يتصاعد فيه الإيقاع إلى أن يبلغ القمة في ثلاثية حسّيّة (...عمياء، صماء، بكماء...) في أداء تصويري متدافع مع سرعة اندفاع الهواء أثناء

[1652]()- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة:111/19.

[1653]()- البستاني، أدب الشريعة الإسلامية: 183.

[1654]()- ابن أبي الحديد، مصدر سابق: 146/7.

التلفّظ، وتتكرر هذه (النواة الإيقاعية)[1655] في كثير من النصوص في نهج البلاغة؛ إذ تبدأ تتفرع هذه النواة بإيقاع مطرد وفق نسق صوتي يتناغم والمعنى الذي تؤديه.

تعتبر الفواصل من العناصر المهمّة في الإيقاع الموسيقي، كونها ذات وظيفة هادفة، وليست حلية، أو فضلة، فهي مليئة بالشحن النغميّة، وشديدة الاتصال بالسياق، متمّمة للمعنى، وقد أشرنا آنفاً إلى هيأة اللفظ في التراث العلوي(نهج البلاغة) من حيث صوت الحرف وصياغته وتأثيره في تجسيد المعنى وتصويره، والآن نشير إلى الإيقاع الموسيقي في اللفظة، وما أفاده الشاعران(الشبيبي) من ذلك، فثمّة توافق بين الصور اللفظيّة، والصورة المعنويّة تنبّه إليها اللغويّون[1656]، وكانت مثمرة في نهج البلاغة، وحاكاها الشعراء، وأفادوا من أجواءها، فحين نقرأ نموذجاً للشبيبي في قصيدته(شؤون أخلاقيّة):

إذا كَثُرَ القَـولُ قَلَّ العَـمَل وإنْ قَصُرَ الذّكرُ طالَ الأَمَل

مُصاحَبَتي للأُسودِ الغِضابِ تَلتهَا مُصاحَبتـي للـحَمَل

أرى جُمَـلاً وتَفاصِـيلُها لَدى مَنْ يُفَصّل تلكَ الجُمَل

مَصيري للمـوتِ لا بُدّ منهُ إذا لـمْ يَكنْ خَبَـباً فالرَّمل[1657]

هنا يشير الشاعر إلى كثرة القول وقلّة العمل، وهذا يجعل الإنسان ينصرف إلى التفكير في الأمل الطويل الذي لا ينفع ولا يجدي من شيء، ويُنسي المرء الموت، ويترتب على ذلك عدم الإتيان بالأعمال الصالحة، كما يصوّره قول أمير المؤمنين(عليه السلام):« **مَن طال أمله ساء عَمله**»[1658]، فالتفكير بالآمال الطويلة وعوالق الدنيا، وخداع ظواهرها، يجعل الإنسان أن يسلك سبيل الشّكّ والترديد بالله سبحانه وتعالى، فلا سبيل له إلاّ بتجديد اليقين محل الشكّ، والزهد في قبال قصر الأمل، فالأمل يدعو المسلم إلى تأجيل ما يجب عليه من عبادات ويماطل فيما يجب أن يؤدّي من حقوق، إتّكالاً على الأيام أو الشهور أو حتى السنوات القادمة من عمره ناسيا أو متناسيا إن الإنسان مخبوء الأجل فلا يعلم لعلّه يموت غدا، وقد أفاد الشبيبي شعره من التراث العلوي، إذ يقول(عليه السلام):« **الأمل يفسد العمل ويغني الأجل**»، و« **إيّاك و طول الأمل فكم من مغرور افتتن بطول أمله وأفسد عمله وقطع أجله فلا أمله أدرك ولا ما فاته استدرك**»، و« **ثمرة الأمل فساد العمل**»، و« **طاعة الأمل تفسد العمل**»، و« **غرور الأمل يفسد العمل**»، و «**من طال أمله ساء عمله**»، و «**ما أطال أحد في الأمل إلا قصر في العمل**»[1659]، فحرف الروي(اللام) المستخدم في فواصل الشبيبي لا تنفصل عن جوّ التراث العلوي، وشحنته المعنويّة والموسيقيّة.

الصّورة والشّعر

إنّ الصورة مصطلح نقدي حديث، مختلف عن مفهوم الخيال في النقد العربي القديم[1660]، والصورة هي أحد ركني الشعر، لذا تعتبر هي والموسيقى ركنين أساسين للشعر، وقد توسعت الصورة لتشمل مدركات الحواس، فهي حسيّة، حرفيّة، شكليّة، جامدة دون أن تستثني عصراً أو شاعراً، ويبقى الخيال مهمّاً لا يُستغنى عنه، فالخيال يُستعمل ككلام حقيقي لا يقبل الشك، و« انعكاس الصور القديمة على الأدب الحديث مستوحاة من الشعر والتراث»[1661]، فحينما نشاهد الإمام(عليه السلام) يرسم لنا صورة لا سبيل إلى رؤيتها بصرياً، فهو يجعل الذهن يتصورها كأنّها حقيقة، فيقول:(... **في يومٍ تشخص فيه الأبصار، وتظلم له الأقطار، وتعطَّلُ فيه صُروم العشار، ويُنفَخ في الصور، فتزهق كل مهجة، وتبكم كل لهجة، وتُذلّ الشوامخ،**

[1655]()- جمال الدين، الشعرية العربية :280.

[1656]()- النويهي، الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه:65/1.

[1657]()- الشبيبي، مصدر سابق:124.

[1658]()- الآمدي، غرر الحكم و درر الكلم : 218.

[1659]()- الآمدي، مصدر سابق : 218.

[1660]()- هلال، النقد الأدبي الحديث:162.

[1661]()- ماتين، إليوت الشاعر الناقد:35.

والصم الرواسخ، فيصير صلدها سراباً رقرقاً، ومعهدها قاعاً سَملقاً، فلا شفيعٌ يشفع، ولا حميمٌ ينفع، ولا معذرة تُدفع)[1662]، فهنا يرسم الإمام هذه الصورة معتمداً على الجزئيات التي باجتماعها يمكن رسم صورة ذهنية مضافاً إليها هذه الحركية الصوتية التي تساعد الذهن على توظيف هذا التداعي الشعوري الذي حركته الألفاظ بسبيل النفاذ من تشاؤمية النص شكلياً إلى الدلالات التي يمكن أن يثيرها في المشاعر والعودة إلى الذات والانكفاء عليها بالمحاسبة واللوم والتقريع، كل ذلك يأتي في سياقٍ تصوره هذه الوقائع التي تتألف جميعها لتكوّن مشهد يوم القيامة في تصوير مرعب مخيف، فالأبصار شاخصة، والأجواء مظلمة، والأرواح زاهقة، والألسن مبكمة، والجبال ذليلة محطّمة، حتى تنتهي إلى تلك النتيجة التي تجعل الإنسان يلوم نفسه، أن لا شفيع ولا حميم ولا معذرة، وتلك مأساوية الحدث الكبرى[1663].

إنّ بعض ألفاظ التراث العلوي تدلّ على معناها من خلال هيئتها أو جرسها، وتصوّر المعنى تصويراً حيّاً ناطقاً، وقد أفاد الشاعر(الشبيبي) من هذه الأمر الذي يمتاز به التراث العلوي، وكذلك ثمّة وظيفة أخرى للألفاظ التراث العلوي لها صلة وثيقة بالصورة، لا من حيث البنية اللغويّة أو الموسيقيّة، بل من حيث قدرتها على استحضار الصورة أو المشهد، وذلك حين يجعلها الشاعر في سياق خاص، فيكون لهذا اللفظ فضل في جعل الصياغة الشعريّة صياغة تصويريّة، وتدخل المعاني والصورة في مخيلة المتلقي ذي الثقافة التراثيّة العلويّة، وتؤدّي إلى جعل المدلول الشعري أوسع وأغنى من الدلالة المباشرة، فإنّ« أسرار الإعجاز الأدبي لا تكون في المعاني اللغويّة والنحويّة، وهي المعاني الأولى، وإنّما تكون في المعاني الثانية، وهي التي يحملها الأدبي اللفظ، أو العواطف البشريّة التي تمتلئ بها الألفاظ والتراكيب»[1664]، لذلك نرى بعض الألفاظ تجاوز الشاعر(الشبيبي) المعاني اللغويّة الأولى، إلى المعاني الاستعاريّة، وشُحنت بطاقة تصويريّة وعاطفيّة لطيفة.

قال الشبيبي في قصيدته(في العراق)

ألا هل حياةٌ في العراقينِ لمْ تكنْ طِعَاناً يُقفّيهِ الرَّدى وضِرابـــا
فإنّي ما استوضـحتُ إلاّ رَمـيـةً لَقىً رَكدتْ فوقَ التُّرابِ تُرابـا
هدى اللهُ هاتيكَ القلوبَ التي أبتْ على البِيضِ إلاّ أنْ تَسيلَ رِقابا
وأقربُ تلكَ المُرهـفاتِ التي أَبتْ على الــهَامِ إلاّ أنْ يَكُنّ قِرابـا[1665]

فهنا الشاعر يمتدح العراق في بسالته، وشجاعته، وغيرته، وقد أخذ تلك الصورة الحسيّة من التراث العلوي، حينما يمتدح الإمام علي(عليه السلام) العراق في بسالته، وشجاعته، وغيرته بقوله:« **وأنتم لهاميم العرب والسنام الأعظم. إن في الفرار موجدة الله والذلّ اللازم والعار الباقي... الرائحُ إلى الله كالظمآن يرد الماء ، الجنة تحت أطراف العوالي، اليوم تبلى الأخبار** »[1666]، فهذا النص يُشير إلى جملة حقائق موضوعيّة تمثل مرتكزاً فكرياً عند الإمام(عليه السلام)، وهذا يعني أنّ النص يعبّر عن حقائق ملموسة واقعيّة، فبعد أن يشير إلى حقيقة العراقيين وبسالتهم من أجل وطنهم، فيصفهم بلهاميم العرب، أي السادات الأجواد، بل سادات العرب، وأيضا يصفهم بالسنام الأعظم، أي الشرف والرفعة والعلو؛ لأنّ السنام أعلى أعضاء البعير، فهو يُعبّر عن حقيقة موضوعيّة، وينتهي إلى الأعداء الذين لم يحبّوا أوطانهم، لأنّهم لا يدافعون عن وطن لهم وعقيدة ومبدأ، إنما هم متهمون في ذلك، وينتهي الإمام(عليه السلام) بتصوير النهاية المتوقعة، وهي الجنّة(الجنّة تحت أطراف العوالي)،أي أنّ الجنّة تحت ظلال السيوف والقتال والبسالة في الحرب. ومن هنا يكون الشبيبي قد أغنى مفرداته في امتداداتها بمح العراق، واستثارتها لأجواء التراث العلوي، وكسبت صياغة ألفاظه قوّة تصويريّة، وعمقاً تخييلياً عن العراق.

[1662]()- ابن أبي الحديد، مصدر سابق: 133/1.
[1663]()- العمري، الخطاب في نهج البلاغة:98.
[1664]()- خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم:237.
[1665]()- الشبيبي، مصدر سابق:7
[1666]()- ابن أبي الحديد، مصدر سابق: 6/8.

الرمز الشعري

لا ريب أنّ الرمز تعبير غير مباشر يتجنّب فيه الشاعر تسمية الأشياء بأسمائها، ويكتفي بذكر ما يوحي بها، ويستحضرها عبر أدوات لغويّة وتصويريّة تمتلكها اللغة على لسان الشاعر، وقيل أنّ أوّل مَن أشار إلى الرمز هو قدامة بن جعفر الذي قرن بين الإشارة والإيجاز، حيث يقول:« يكون اللفظ القليل مشتملاً على معانٍ كثيرة بإيماء إليها، أو لمحة دالّة»[1667]، وأيضا يُعتبر المجاز مادة للرمز، والشاعر يتخذ من الأشياء المحسوسة رمزا إلى الأمور المعنويّة، فيسمو بالواقع، ويرتفع به.

ثمّة رمزيّة أسلوبيّة عامّة في التراث العلوي، وهو المجاز الذي يحوي ويشمل التشبيه والاستعارة والكناية، وهذا الأنواع البلاغيّة تضمّ أغلب العناصر الرمزيّة مثل: الإيحاء والإبهام وغير المباشرة، فلو أخذنا الكناية نجدها في التراث العلوي في مواطن لا يُحسن التصريح فيها مثل قول الإمام(عليه السلام):«**أيها الناس، استصبحوا من شعلة مصباح واعظ متعظ، وامتاحوا من صفو عين قد رُوِّقَتْ من الكدر**»[1668]، وهذا بالنتيجة مستوى رمزيّ عالي المعنى ؛ إذ أن ذلك يشير إلى كونه جامعاً لشروط العالم الحاكم دون سواه، حيث رمز بلفظة العين كناية عن العالم، ويقصد نفسه، مما يعني عدم تولية غير العالم لأن ذلك سيدفع بالناس إلى مهاوي الزلل لعدم معرفته بتفاصيل الأحكام ومتطلباتها، وكذلك قوله(عليه السلام) في الإبهام والتهويل:« **ألا وإنّ بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيّه، والذي بعثه بالحق لتبلبلنَّ بلبلةً، ولتغربلنَّ غربلةً، ولتساطنَّ سوط القدر حتى يعود أسفلكم أعلاكم، وأعلاكم أسفلكم، وليسبقنَّ سابقون كانوا قصّروا، وليقصّرنَّ سباقون كانوا سبقوا**»[1669]، فهو يبدأ خطابه إلى الجمهور بالإشارة إلى حقيقة مهمّة، يُطلق فيه العنان للشعور البشري في تملّي الموقف واستيعابه في مشاهد عديدة تجعل مخيلة الإنسان إضافة مشاهد ووقائع أُخر، وهنا تمثل لدى الإمام(عليه السلام) الهدف الأساس في العملية التغييرية التي يسعى إليها، وهذه الحقيقة هي أن المجتمع في الجزيرة قد عاد إلى سيرته الأولى، جاهلية عمياء، وأنّهم لم يفيدوا شيئاً من الإسلام بوصفه تحولاً جذرياً في مفاهيمه وأفكاره، ويسمّى ذلك برمز (البلية)؛ إذ إنَّ العصبية القبلية مازالت تسيطر عليهم، ومازال المجتمع يتوزع على طبقات متفاوتة في الميول والاتجاهات.

تتماز الرمزيّة بالإيحاء اللفظي المرتبط باللغة المسمّى بالرمز اللغوي، أي أنّ اللفظ يحمل دلالة لغويّة معينة، والتراث العلوي يجعل اللفظ رمزا إلى نكرة أو مشهد أو سلوك، فحينما يأتي بلفظة الطاغوت، وهي تجاوز الحدّ يستعملها التراث العلوي رمزا لكلّ رأس في الضلالة، سواء أكانت إنساناً أو فكرة، أو صنماً، والطاغوت هو البغي والطغيان، فيقول(عليه السلام):«**ما أسرع صرعة الطاغي**» و« **الظالمُ طاغٍ ينتظر إحدى النقمتين**» و« **مَن شغل نفسه بغير نفسه تحير في الظلمات، وارتبك في الهلكات، ومدّت به شياطينه في طغيانه**»[1670]، ونجد ذلك الاستعمال الرمزي للطاغوت في شعر الشبيبي، حيث يرمز إلى الاستعمار حيناً، وإلى الحكّام المستبدين حيناً آخر، وإلى أهل الخرافات والضلال، إذ يقول:

ذَهبْتَ أمسِ بما نَدرى أتُخْبِرُنا لِنستَريحَ بمــاذا الآنَ قــد جِيتــا

عَهِدتُ أهلَكَ لمْ يَبطُلْ نَكيرُهُمُ على الطُّغاةِ، فلِمَ صاروا طَواغِيتا

مُــلَفَّقٌ مِنْ مَخــاريقٍ كَلامُهمُ ومِــنْ مُحالٍ وإن سمّوه لاهُوتا[1671]

وهنا يستهزئ بأهل الضلال ويحمل عليهم، ويرمز لهم بالطغيان.

[1667]()- ابن جعفر، نقد الشعر:174.
[1668]()- ابن أبي الحديد، مصدر سابق: 131/7.
[1669]()- ابن أبي الحديد، مصدر سابق: 35/9.
[1670]()- ابن أبي الحديد، مصدر سابق: 253/9.
[1671]()- الشبيبي، مصدر سابق:75.

الرمز الموضوعيّ

إنّ الحديث عن الرمز الموضوعي، وذكر الأعلام الخاصّة في التراث العلوي حديث في غاية الأهميّة، فهي شخصيّات واقعيّة في التاريخ، ولم تكن رمزيّة شأن شخصيّات الرواية والقصّة، والحديث عنها لمعرفة مدى الاستعمال البشري لها، وما فيها من دلالات رمزيّة في نفوس المتلقين للشعر، وقد أضحت الأعلام التراثيّة ملكاً للشاعر(الشبيبي) يتعامل معها كما يتعامل مع أيّة شخصيّة في التاريخ مثل: الرسول الأعظم(صلّى الله عليه وآله)، والإمام علي(عليه السلام)، والإمام الحسين(عليه السلام)، وقد أفادا الشاعر من الأعلام في توظيف يؤدّي إلى إغناء التجربة الشعريّة، وتقريب إلى الوجازة والتكثيف الذي هو دعامة أساسيّة من دعائم الرمزيّة، والذي اصطلح عليه بالرمز الموضوعي[1672]، فالعودة إلى الأعلام التراثيّة أصبحت سمة من سمات الشعراء لتوظيفها رمزيّا للدلالة على مواقف وأفكار معيّنة، وقد سمّى البلاغيّون هذا الاستعمال بـ (التلميح)، أي إشارة الشاعر إلى شخصيّة في قصّة، أو مثل، دون ذكر التفصيل، وممّا يثير الأسف والحزن حينما نرى ابتعاد الشعراء عن شخصيّة رامزة لدلالات عديدة، ولم تعطَ حقّها، وهي شخصيّة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام)، فالصور التي تناولها الشعراء لم تكن بالمستوى الرمزي المرجو، نعم تناولوها في قصائد طويلة أسموها(المدائح العلويّة)، ولكنّهم لم يتناولوها بالطريقة التلميحيّة الدالة التي هي إمارة الرمز، فالتحليل والبسط أبعدا التركيز والتكثيف، ولكن مع تقصير الشعراء في تناول شخصيّة الإمام علي(عليه السلام) تناولا رمزيّاً، فقد بقي اسمه إثارة لمعانٍ كثيرة، فهو المرتضى، و خاتم الأوصياء، وصاحب الحوض، ونفس الرسول، وأمير البررة، وقاتل الفجرة، وقسيم النار، وصاحب اللواء، وكشّاف الكرب، والشاهد، وباب المدينة، والكرّار غير الفرّار، وغيرها المئات من الأسماء والألقاب والصفات، فقد أصبح مثلاً للشاعر(الشبيبي) في الدلالات الرمزيّة، وخصوصاً فيما مثلته شخصيّة الإمام(عليه السلام) في هداية الإنسانيّة، وإنارة البشريّة بفكره الوقّاد، ولعلّ من أعظم الدلالات الرمزيّة في شخصيّة أمير المؤمنين(عليه السلام) هي الشجاعة، وكذلك عهده السياسي والاجتماعي لمالك الاشتر، وهذا ما عبّر عنه الشبيبي في قصيدته(الشرق الناهض):

جاهِدِي يا أُمَمَ الشَّرقِ الأُلى قَتَلونا جاهَديهِم أجمَعا

جدّدي عـهدَ عــليٍّ غازياً وأعيدي مالكاً والنَّخعا[1673]

فهنا الشبيبي يُشير بتلميح ورمزيّة للشجاعة والبسالة، وكذلك العهد المعروف لمالك الاشتر، والذي أضحى رمزا للدلالات العظيمة المضامين، بل بات سجلاّ لسعادة البشريّة.

الخاتمة

قد توصّلنا بعون الله تعالى إلى نتائج عالية المضامين من خلال دراسة موضوعيّة في التراث العلوي وأثره في الشعر العراقي، ويعتبر التراث العلوي(نهج البلاغة) من أظهر هذه المؤثرات في الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية في عصر النهضة، والشاعر(الشبيبي) قد استلهم أثراً فكريّا وأدبيّا عظيما كنهج البلاغة، ودراستنا لم تُظهر تأثّر الشاعر العراقي بمبادئ أمير المؤمنين(عليه السلام) من حيث السلوك والأخلاق والعرفان، بل أظهرت مدى تأثّره بالفكر الأدبي في التراث العلوي، لذلك توصلت الدراسة إلى:

1- أثر التراث العلوي من اللغة والنحو في مفردات اللغة الغريبة، والأساليب النحويّة لدى الشاعر الشبيبي.

2- أثر الموسيقى بأنواعها الثلاثة المستوحاة من نهج البلاغة: الحكاية الصوتيّة للمعنى(تعتمد الإيحاء الصوتي والجرس الموسيقي)، الفاصلة(القوافي وحروف الروي)، والأوزان الشعريّة.

3- توظيف الصورة في التجربة الشعريّة، فأكسبها من عناصر العمق والتأثير الشيء الكثير.

[1672]()- مندور، في الميزان الجديد:124.

[1673]()- الشبيبي، مصدر سابق:45.

4- أثر الرمز والرمزيّة والتلميح والأعلام مثل شخصيّة أمير المؤمنين(عليه السلام)، وتوظيفها في الأبعاد النفسيّة والثقافيّة والفكريّة التي رسمها أمير المؤمنين(عليه السلام)، ومنحها الشاعر الشبيبي دلالات جديدة.

المصادر والمراجع

1- إسماعيل،عز الدين، الأدب وفنونه،ط1،دار الفكر العربي، القاهرة، مصر ، 1965م.

2- أوستن وارين، وريشه يليك، نظريّة الأدب، تر:صبحي، د.ط،المجلس الأعلى لرعاية الفنون، دمشق سوريا، د.ت.

3- ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة، ط1،دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،1430هـ.

4- الآمدي،عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم،ط1،دار الهادي،بيروت، لبنان،د.ت.

5- بن جعفر، قدامة، نقد الشعر،ط1،المكتبة العلميّة، بيروت، لبنان،1980م.

6- الحاني، ناصر،من اصطلاحات الأدب الغربي، ط1،دار المعارف، القاهرة، مصر،1959م.

7- الجندي، أنور، خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي،ط1، دار الاعتصام، القاهرة،1975م.

8- خلف الله، محمد، الفن القصصي في القرآن الكريم،ط3،انجلو مصريّة، القاهرة، مصر،1965م.

9- الخاقاني، علي، شعراء الغري،ط1،المكتبة المركزيّة،قم،إيران،1408هـ.

10- الخليلي،جعفر،هكذا عرفتهم،ط1،المكتبة الحيريّة،النجف،العراق،1426هـ.

11- الدسوقي،عمر، في الأدب الحديث،ط8،دار الفكر العربي،القاهرة، مصر،1970م.

12- عبده، محمّد، شرح نهج البلاغة،ط1،منشورات ذوي القربى، قم، أيران،1427هـ.

13- عيسى، حنفي، محاضرات في علم النفس اللغوي،ط1، دارالجزائر، الجزائر، 1971م.

14- عبد الحي، محمد، اللغة العربيّة بين الخطر الخارجي والتهميش الداخلي،ط1، مركز الجزيرة للدراسات،عمان،1995م.

15- العمري، عبد الحسين، الخطاب في نهج البلاغة بنيته أنماطه مستوياته،ط1، دار غيداء، عُمان،الأردن،2017م.

16- الطاهر، ديوان الجواهري،ط1،وزارة الإعلام،بغداد،العراق،1973م.

17- الشبيبي، محمد رضا، ديوان الشبيبي،ط1، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، مصر، 1359هـ.

18- مندور، محمد، في الميزان الجديد،ط1، دار نهضة مصر،القاهرة، مصر،1973م.

19- ماتين، إليوت الشاعر الناقد، تر: إحسان عباس، ط1،المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان،1965م.

20- الميلي،مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ط1،المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر،1406هـ.

21- مير بصري، أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث،ط1،دار الحريّة، بغداد، العراق،1971م.

22- النويهي، محمد، الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه،ط1،لسان العرب، القاهرة، مصر، 2019م.

23- هلال، محمد، النقد الأدبي الحديث،ط5،الانجلو مصريّة،القاهرة،مصر،1971م.